قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
المجلد ٦، العدد (٢)، ديسمبر ٢٠١٤م، ص١٢٧-١٥٣

© ٢٠١٤ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

الانسجام النَّظمي في القرآن: مجموعة الحواميم أنموذجًا

ويلايْلاك وسترات[١]

(The Textual Cohesion in the Quran: The Hawāmim Group as a Case Study)[*]

Aisha Wilailak[2]

ABSTRACT

This article is a comparative analysis of a group of Quranic *surahs* (40-46) known as "*hawāmim*". The study explores the textual cohesion of these *surahs*. To this end, the study applied the methods of "*ilm munāsabah*" to analyse the relationships between the selected verses. Tools pertaining to the maqasid method have been also used resulting in significant textual and semantic relationships among the *hawāmim* group of verses. Cohesion was also recorded between the content of the verse and that of its close neighbouring verses. This cohesion is evidence that the *hawāmim* group of verses has textual features that unique in the holy Quran.

.

Keywords:*, Textual Cohesion, Hawāmim, Introduction of Suwar, Semantic relationship.*

---

[١] أستاذة بقسم اللغة العربية، كليَّة العلوم الإنسانيَّة، جامعة الأمير سونكلا نكرين، فطاني، تايلاند.

[*] This article was submitted on: 26/02/2014 and accepted for publication on: 24/06/2014.

[2] Aisah Wilaila is a lecturer at the Section of Arabic Language, Faculty of Humanities, Prince Songla University, Pattani, Thanilan, Email: aishawilailak@hotmail.com

ملخص

هذه الدِّراسة محاولة تحليليَّة مقارنة لمضمون مجموعة السُّور التي تُعرف بـ"آل حم" أو "الحواميم"، وهي السُّور (٤٠-٤٦) في ترتيب المصحف، وذلك من أجل استكشاف صُوَر من الانسجام النَّظميِّ في ثنايا هذه السُّوَر. عليه، فقد طبَّق الباحث أدوات "علم المناسبات" بين السُّور، سواءٌ في علاقات أجزاء السُّورة الواحدة بعضها ببعض، أم في علاقات أجزائها بغيرها من السُّور، مضافًا إلى ذلك آليَّات البحث المقصديِّ. ونتيجة لذلك، فقد اكتشف الباحث وجود علاقاتٍ دقيقة لفظيَّة ومعنويَّة في ثنايا هذه المجموعة السُّوَريَّة: بين مفتتح السُّورة وبين خاتمة سابقتها، وبين فاتحتها وخاتمتها، وبين متنها ومتن السُّور المجاورة لها؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ المجموعة الحواميميَّة تنفرد بين سائر سور القرآن بعلاقاتٍ لفظيَّة وموضوعيَّة مميَّزة فيما بينها، تجعلها وحدةً سُوَريَّة في مجمل القرآن.

كلمات دالَّة: انسجام نظمي، حواميم، فواتح سُوَر، علاقات لفظيَّة ومعنويَّة.

١ مقدمة

يتألَّف القرآن الكريم بسُوَره المائة والأربعَ عشَرَةَ، من مجموعاتٍ سُوَريَّة معلومة، تؤكِّد أنَّ القرآن الكريم بناءٌ مُحكم دقيقٌ معقَّد، إنْ في صورته الكليَّة المتمثِّلة في السُّور، وإنْ في صورته الجزئيَّة المتمثِّلة في الآيات والكَلِم. أمَّا المراد بالمجموعات السُّوَريَّة، فهي عددٌ من السُّور تُعرَف باسم موحَّدٍ أطلِق عليها من الشَّارع، أو من لدن العلماء؛ لصفةٍ مشتَرَكةٍ بينها، وقد تكون تلك السُّور متواليةً في التَّرتيب المصحفيِّ أو مفرَّقة.

بهذا الصَّدد، فإنَّ من الأحاديث المشتهرة في الإشارة إلى تقسيم القرآن إلى مجموعاتٍ سُوَريَّة، ما ورد في حديث البراء بن عازب أنَّ النبي (ﷺ) قال: "إنَّ الله أعطاني السَّبع الطِّوال مكان التَّوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني الطَّواسين مكان الزَّبور، وفضَّلني بالحواميم والمفصَّل، ما قرأهنَّ نبيٌّ قبلي".[١]

[١] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢). **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: محمد إبراهيم الحناوي. القاهرة: دار الحديث، ج ١٣، ص ٨٧.

وفي الفقرات الآتية عرضٌ مختصرٌ لبعض تلك المجموعات السُّوريَّة المأثورة منها، والمستنبَطَة من لدُن العلماء:[١]

(١) **السَّبع الطّوَّل**: هي السُّور السَّبع الأكثر طولاً في القرآن الكريم. وهي: البقرة، وآل عمران، والنِّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال والتَّوبة (مجتمعَتين)، أو سورة يونس.[٢]

(٢) **المثاني**: قيل إنَّها السُّوَر السَّبع التي تلو السَّبع الطُّول: تبدأ بيونس وتنتهي بالنَّحل. وعلى هذا الرَّأي تكون المثاني إنَّما سميت بذلك لتثنيتها السَّبع الطِّول، أي مجيئها بعد السَّبع الطِّول. فكأنَّ السَّبع الطول مبادئ وأوائل، والمثاني ثوان لها. وفي قولٍ لابن عباس إنَّ سُوَر القرآن كلِّها مثانٍ طوالها وقصارها، بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾، (الزمر: ٢٣).[٣]

(٣) **المئون**: المئون: جمع مائة، وهي السُّور التي عدد آياتها مائة، أو تزيد عليها شيئًا يسيرًا. وقد اختلف العلماء في تحديد السُّور المئين، فقيل أوَّلها الإسراء وآخرها المؤمنون، وهي سبع (الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون). والظَّاهر أنَّ تتابُعها في التَّرتيب هو علَّة عدِّها في المئين، وإلاَّ كان لزاماً عدُّ سور أخرى كثيرة في عداد المئين مثل سورة الشُّعراء والصَّافات.

(٤) **المفصَّل**: وهي السُّور القصيرة نسبيًّا، الواقعة في الرُّبع الأخير من المصحف على اختلاف في تحديدها، فقيل تبدأ من سورة محمَّد إلى الناس، وعددها (٦٨) سورة. وقيل من سورة ق، وقيل من سورة الضَّحى إلى الناس، وهو قول ابن عباس. وكان

---

[١] انظر: القطان، مناع. (د.ت). **مباحث في علوم القرآن**. القاهرة: مكتبة وهبة، ص ١٣٨-١٣٩.

[٢] أبو داود، الإمام الحافظ سليمان بن الأشعب. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **سنن أبي داود**. جدة: دار المنهاج للنشر والتوزيع، كتاب الصلاة، (ح: ٩٨٨).

[٣] ابن كثير، الإمام القاضي أبي إسحاق إسماعيل. **تفسير القرآن العظيم**. السعودية: دار ابن حزم، ج ٤، ص ٥١.

يُفصَل بعد الضحى بين كلِّ سورتَين بالتَّكبير، وهو رأي قراء مكَّة.[١] وسُمِّيت بـ(المفصَّل)؛ لكثرة الفصول التي بين سورها.[٢]

ويلاحظ هنا أن التَّقسيم السَّباعي غالب على الأقسام الثلاثة الأولى: السَّبع الطول، والمثاني، والمئين. كما أنَّ السُّور المندرجة تحت الأقسام الأربعة المذكورة، تنقسم إلى قسمين كبيرين هما: المكيَّة (٨٦ سورة)، والمدنيَّة (٢٨ سورة).[٣]

أمَّا المجموعات الأخرى، خاصَّة ما استنبطه الباحثون، فمنها: "**الحامدات**"، و"**الرَّائيات**"،[٤] و"**السَّموات**"،[٥] و"**الطَّواسيم**"،[٦] والعزائم الأربع،[٧] والقرائن والأخوات، والقلاقل الأربع،[٨] والمسبِّحات،[٩] وهود وأخواتها،[١٠] وغير ذلك.

هذا، ويفضي البحث في المجموعات السُّوريَّة في القرآن إلى جملةٍ من المسلَّمات والمواقف الثَّابتة في علوم القرآن وقضاياها، من تلك المسلَّمات أنَّ:

---

[١] صيغة التَّكبير "الله أكبر" وزاد بعضهم: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر". (انظر: القرطبي. **تفسير القرطبي**. ج ٢٠، ص ١٠٣).

[٢] يمكن الاعتراض على هذا التَّحديد؛ لأنَّ كل سورة في القرآن الكريم يفصل بينها وبين سابقتها ولاحقتها بالبسملة، اللهم إلا ما بين التوبة والأنفال، وبذلك قد تعدُّ كلُّ سورة في القرآن الكريم من المفصَّل. والأوجَه في هذا المقام أن يقال إنها سميت بالمفصَّل لقصر آياتها، أو لقصر سورها نسبيًّا.

[٣] الزرقاني، محمد عبد العظيم. (١٩٩٦). **مناهل العرفان في علوم القرآن**. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر، ج ١، ص ١٩٦.

[٤] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. (١٩٩٣). **الدر المنثور**. بيروت: دار الفكر، ج ٤، ص ٣٣٩.

[٥] الجرمي، إبراهيم محمد. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **معجم علوم القرآن**. دمشق: دار القلم، ط١، ص٧٣.

[٦] ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. (د. ت)، بيروت: دار صادر، ج١، ص١٥٩.

[٧] السور التي تشتمل على السجدة، يجب السجود عند تلاوتها، وهي: السجدة، وفصلت، والنجم، والعلق. (انظر: القرطبي. **تفسير القرطبي**. ج ٢٠، ص ١١٨).

[٨] القلاقل الأربع، هي: سورة الكافرون، والإخلاص، والمعوذتين، لم يعدوا منها سورة الجن التي تبدأ بـ(قُل)، لعل لانفصالها.

[٩] المسبِّحات هي: سورة الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى، وهي جميعًا من المفصَّل ما عدا سورة الإسراء.

[١٠] في الحديث: "شيَّبتني هود وأخواتها". (الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (١٤١٧هـ/١٩٩٧). **المستدرك على الصَّحيحين**. السعودية: دار الحرمين للطباعة والنشر، (ح:٣٣١٤)؛ والترمذي، محمد بن عيسى. (١٤٢١هـ). سنن الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية، (ح: ٣٢٩٧). وهو حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

- ترتيب السُّور القرآنيَّة ترتيبٌ توقيفيٌّ من النَّبي (ص)، وإن لم يكن ذلك أمرًا مجمعا عليه، فإنَّ طائفة من سور القرآن الكريم، قد وردت نصوصٌ شرعيَّة تفيد بأنَّ ترتيبها كان معلومًا
- المجموعات السُّوريَّة كانت معلومةً محدَّدة من عهد النَّبي (ص)؛ لورود الإشارة إلى جملةٍ منها بأسمائها المحدَّدة.
- تقسيم القرآن الكريم إلى مجموعات سُوَريَّة لم يكن اعتباطًا، وإنَّما ينطوي على مقصديَّة في التَّأليف، ويكشف عن انسجامٍ نَظميٍّ ملموس بين السُّوَر المندرجة تحت تقسيمٍ موحَّد.

انطلاقًا من هذه التَّقسيمات، فإنَّ هذه الدِّراسة محاولة لاستجلاء صُورٍ من الانسجام النَّظميِّ في مجموعةٍ ما يعرف بـ"الحواميم": فما مظاهر الانسجام بين منظومة السُّوَر الحواميم؟ وما المشتركات المقصديَّة بينها؟ وما العلاقات النَّظميَّة بين آياتها المتشابهة لفظًا؟ إنْ في البُعد الأفقيِّ (داخل سورة واحدة)، وإنْ في البُعد العموديِّ (بين سورة وأخرى).. تلك أسئلة تحاول هذه الدِّراسة التَّصدِّي لها.

ولبلوغ هذا الهدف، وللإجابة عن الأسئلة المطروحة أعلاه، فإنّ هذه الدِّراسة قد انتهجت منهجًا وصفيًّا استقرائيًّا وتحليليًّا لمضمون السُّور الحواميم بما يسمح به الحيز المتاح في مثل هذه الدِّراسة، متَّبعةً في ذلك ما انتهى إليه بعض الدَّارسين، أمثال: الزَّركشي (٧٩٤هـ)، والبقاعي (ت٨٨٥هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ)، والزرقاني (١٣٦٧هـ)، وغيرهم ممَّن أرسوا قواعد "علم المناسبات"؛ لاستخلاص العلاقات والرَّوابط البينيَّة بين سُوَر القرآن وآياته.

هذا، وقد ارتأت هذه الدِّراسة استخدام مصطلح "الانسجام النَّظمي"؛ لشموله واحتوائه لمجمل المصطلحات والمباحث المندرجة في حقل استجلاء العلاقات الدَّقيقة بين سُور القرآن، مثل: "المناسبة" و"التكرار" و"المتشابه اللَّفظي".

تجدر الإشارة إلى أنَّ المجموعة الحواميميَّة قد لقيت عناية الباحثين من جوانب وأبعادٍ شتَّى، ومن تلك الدِّراسات التي تناولت هذه السُّور من النَّاحية البلاغيَّة، دراسة

بعنوان: "سور الحواميم: دراسة بلاغية تحليلية"، وهي دراسة دكتوراه، استقصى فيها صاحبها أبرز الأوجه البلاغيَّة في سُوَر الحواميم، واستكشف فيها موضوعاتها معتمدا على كتب البلاغة الأصول.[١] وفي المضمار نفسه دراسة أخرى بعنوان: "بلاغة القرآن الكريم في سور حم".[٢]

وفي الجانب المقصديِّ، نجد مقالاً بعنوان "مقاصد القرآن: مدخل كشفي بالحواميم للسَّبع الطِّوال"،[٣] وفيه عمد الباحث إلى استكشاف معانٍ جامعةٍ في السُّوَر الحواميم مجتمعةً مع السَّبع الطُّوَل، وعلاقة ذلك بالإعجاز، ولكنَّه أوغل في التَّحليل بحروف الجمَّل، فزعم مثلاً أنَّ الحواميم "هي قلب القرآن؛ لأنَّها قلب محمد (...) بمعنى أنَّها اسمه بعد قطع الرَّأس والذَّنَب، الأول والآخر من حروف اسمه". أي هكذا: (م حم د)، وعلى كلٍّ، فإنَّه قد نجح في بيان العلاقة بين هاتَين المجموعَتَين: الحواميم والسَّبع الطوَّل.

قريبٌ من ذلك، دراسة بعنوان "معارف القرآن من خلال الحواميم السبع"،[٤] وهي تعالج المقاصد المشتركة والخاصَّة التي تشتمل عليها هذه السُّور، ويُقصد بالمعارف هنا: أصول الدِّين من توحيد، ونبوَّة ومعاد، وقد خصَّ فيها صاحبها في عشرين مبحثًا سورةً من سُوَر الحواميم بمبحث، ونجح في ربط الآيات بعضها ببعض في أنساقٍ موضوعيَّة تجلي فكرته، ولا يؤخذ على هذه الدِّراسة إلاَّ إيغالها في الجانب التَّأثُّري والتَّأمُّليِّ في فهم الآيات.
هذا، وإنَّ دراستنا الحاليَّة، وإن كانت تجمع بين البعد البلاغي والبعد المقصدي، فإنَّها تحاول التَّركيز على الجانب التَّحليلي لمضامين المجموعة الحواميميَّة، باستكشاف صُور الانسجام والتَّعالُق بين سوَرها وآياتها بعضها ببعض.

---

[١] علوش، عبد القادر عبد الله فتحي. (٢٠٠٢م). **سور الحواميم: دراسة بلاغية تحليلية**. بيروت: دار الكتب العلمية.

[٢] للباحث عبد العزيز بن صالح بن عبد الله الدعيلج، جامعة الإمام محمد بن سعود. ولم نعثر على هذه الدراسة.

[٣] العوادي، مشكور كاظم. مجلة التقريب، www.taqrib.info/arabic/index.php، بتاريخ: ٢٠١٣/١/١٤م. معاينة: ٢٠١٣/٥/٢٨م.

[٤] جوادي، آملي. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٩). **معارف القرآن من خلال الحواميم السبع**. بيروت: دار الصفوة.

الحواميم مصطلحًا وتحديدًا

هي السُّور السَّبع المفتتحة بحروف المقطعات (حم)، وتسمَّى (آل حم). وهي السور ذوات الأرقام في ترتيب المصحف: ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦ على التوالي. أوَّلها سورة غافر، وآخرها سورة الأحقاف. ويُطلق عليها أيضًا (عرائس القرآن).[١]

ويفرَّق بين الحواميم بإضافة أسماء سورها المشتهرة إليها، فيقال: حم غافر، وحم فصلت، وحم عسق، وحم الزخرف، وحم الدخان، وحم الجاثية، وحم الأحقاف. كما أنَّ لبعضها أسماء خاصَّة تميِّزها عن غيرها، وهي:

غافر: تسمَّى: سورة الطَّول، وحم المؤمن، وحم الأولى.

فصلت: تسمَّى أيضًا: حم السَّجدة، وحم المصابيح.

الجاثية: تسمَّى: حم الشَّريعة وحم الدَّهر.

الأحقاف: تسمَّى أيضًا: حم الأخيرة.

افتتاحيَّات الحواميم والانسجام

إنَّ أوَّل ما يثير الانتباه حيال المجموعة الحواميميَّة، هو الشَّبه بل التَّماثُل في افتتاحيَّاتها؛ تماثُلا يفضي إلى أنَّ هذا النَّمط من الافتتاحيَّة ليس اعتباطًا. وهي على النَّحو الآتي:

غافر ﴿حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١-٢)

فصِّلت ﴿حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١-٢)

الشورى ﴿حم عسق كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١-٣)

الزُّخرف ﴿حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١-٢)

الدُّخان ﴿حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١-٢)

الجاثية ﴿ حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١-٢)

الأحقاف ﴿ حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١-٢)

---

[١] عن سعد بن إبراهيم قال: "كنَّ الحواميم يسمين العرائس". فضائل القرآن، (ح: ٣٢٨٨).

انطلاقًا من افتتاحيَّات السُّوَر أعلاه، نجد ثمَّة علاقة تشابه وتماثل واضحةً بينها في النَّظم، ويمكن تصنيفها في المجموعات الفرعيَّة الآتية:

أ_ ثلاث سُوَر تبدأ بـ"تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ..." وهي: سورة غافر، والجاثية، والأحقاف. وقد ورد في السُّورَتَين الأخيرتَين اسم الله الحسن "الحكيم" بينما ورد في غافر "العليم".

ب_ سورة فصِّلت: وهي قريبة من المجموعة الأولى، ولكن بدون تنصيص على أنَّ الكتاب من الله، والاسمان الحسَنان فيها هما "الرَّحمن الرَّحيم".

ج_ سورة الشُّورى: وتنفرد بعدم التَّشابُه اللَّفظي بينها وبين سائر سوَر الحواميم.

د_ سورتان اثنتان تبدآن بـ"والكتاب المبين"، وهما: سورة الزُّخرف والدُّخان.

جدير بالذِّكر، أنَّ الحروف المقطَّعة وإن كانت لا تفسَّر، فإنَّ بعضهم قد ذهبوا إلى أنَّ ابتداء هذه السُّور بالحروف المقطَّعة نفسها، لَهُو دليلٌ على اشتراكها في المقصد. "إنَّ هذه السُّوَر قد اختصَّت بنفس الحروف؛ يتبيَّن –إذن– أن لهذه السُّور مضامين مشتركة".[١] كما عمد بعض المفسِّرين إلى استخراج لطائف معنويَّة في الفواتح التي اختلفت قليلاً عن غيرها في هذه المجموعة، من ذلك مثلاً:

- في سورة غافر: ذكر الحافظ الثقفي (ت٧٠٨هـ)، بأنَّ الاسمَين الحَسَنين (العزيز العليم) قد قاما بوظيفة ربط السُّورة بما قبلها سورة الزُّمر)، وأنَّهما تنبيهٌ على انفراده تعالى بآثار عزَّته وقهره المنصوص عليها في آخر الزُّمر، فهو العزيز الحقُّ القاهر؛ لعلمه بأوجه الحكمة التي خفيت عن الخلق. وبهذا، فإنَّ هذين الاسمين قد حقَّقا ربط هذه السُّورة بما قبلها.[٢]

---

[١] جوادي، آملي. **معارف القرآن من خلال الحواميم السبع**. ص٣١١.

[٢] الثقفي، أحمد ابن إبراهيم. (١٤٢٨هـ). **البرهان في تناسب سور القرآن**. تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح. الرياض: دار ابن الجوزي، ص١٥٧.

- وفي سورة فصِّلت، بيَّن البقاعي أنَّ الاسمَين الحسنَين (الرَّحْمَن الرَّحِيم) قد قاما بوظيفة بيان مقصد السُّورة العامِّ، وهو الوحي الإلهيُّ. قال: "من الرَّحمن: أي الذي له الرَّحمة العامَّة للكافر والمؤمن بإنزال الكتب وإرسال الرُّسل. الرَّحيم: أي الذي يخصُّ رحمته المؤمنين بإلزامهم ما يرضيه عنهم".[١] وإلى مثل ذلك ذهب ابن عادل (ت٨٨٠هـ)، في بيان الانسجام النَّظمي في اختيار اسمَي "الرَّحمن الرَّحيم".. قال: "وذلك يدلُّ على أنَّ ذلك التَّنزيل نعمةٌ عظيمة من الله تعالى، لأنَّ الفعل المقرون لا بدَّ وأن يكون مناسبًا لتلك الصِّفة".[٢]

عليه، فإنَّ الاختلافات الطَّفيفة الواردة ههنا في كلِّ موضعٍ، هي مناسبةٌ لموضعها، دقيقةٌ في استعمالها، قائمةٌ بوظيفة جوهريَّة في بيان المقصد العامِّ للسُّورة، وفي ربطها بما قبلها من سورة.

مشتركات وخصوصيَّات موضوعيَّة

توجد مواضع متشابهة كثيرة في الحواميم، سواء داخل الحاميمة الواحدة أم بين آيات السُّورة الحاميمة وأخواتها من السُّور الحواميم.[٣] وتلك هي السمة الظَّاهرة التي يذهب كثيرٌ من العلماء إلى أنَّها السر في الجمع بين هذه السُّور في هذه المجموعة المسمَّاة بـ"حم".

وعن العجائب للكرماني، قال السيوطي: «إنّما سمّيت السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهنّ من التّشاكل الذي اختصّت به وهو أنّ كلّ واحدة منها استُفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تفاوت المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النِّظام".[٤] من تلك الخصائص المشتركة بين سور الحواميم:

---

[١] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. (١٩٩٥). **نظم الدرر**. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١٧، ص ١٣٥.

[٢] ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الحنبلي. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١٧، ص ٩٧.

[٣] ملائكة، سراج صالح. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦). **دليل الآيات متشابهة الألفاظ في كتاب الله العزيز**. الرياض: مكتبة الملك فهد، ط٤.

[٤] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). **معترك الأقران في إعجاز القرآن**. تحقيق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٥٧-٥٨.

أ_ التَّجاور الموضعي والنُّزولي: أي أنَّ سوَر الحواميم متجاوراتٌ في التَّرتيب المصحفيِّ لم يفصل بينها بسورة غيرها في النزول (السُّوَر٦٠. ٦٦) أو في التَّرتيب في المصحف (٤٠. ٤٦). يقول السُّيوطي في ذلك: "وروينا عن جابر بن زيد وابن عباس في ترتيب نزول السُّور، أنَّ الحواميم نزلت عقب الزُّمر، وأنَّها نزلت متتالياتٍ كترتيبها في المصحف (...) ولم يتخلَّلها نزولٌ غيرُها"،[١] وتلك خاصيَّة فريدة في هذه السُّور وفي "الطَّواسين"، أي كونها متوالية في التَّرتيب، بخلاف المسبِّحات مثلاً، إذ فُصل بيها بالمجادلة والممتحنة والمنافقون. ولم ينزل من القرآن سبع سورٍ متواليات غيرهنَّ.

ب_ الافتتاح بذكر القرآن: افتتحت الحواميم بذكر الوحي والقرآن الكريم تأكيدًا بأنَّه منزَّل من الله وأنَّه صدق. غير أنَّ هذا المعنى المشترك بين الحواميم، موجودٌ أيضًا في كلِّ سورة مفتتحة بحروف مقطَّعة؛ إذ قد تنبَّه العلماء إلى أنَّ أيَّة سورة مفتتحة بالمقطَّعات، لا بدَّ أن يُذكر فيها الانتصار للقرآن الكريم، وبيان غلبته. يقول الحافظ ابن كثير: "كلُّ سورة افتُتحت بالحروف فلا بدَّ أن يُذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلومٌ بالاستقراء في تسع وعشرين سورة...".[٢]

ج_ ذكر قصَّة موسى ودعوته لفرعون، وما لقيه هو والمؤمنون من أذى من فرعون وقومه، ففي سورة فصلت ورد مثلاً: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ (آية:٤٥)، وفي الشورى: ١٣، والزخرف:٤٦، والدخان:١٨، والجاثية:١٠، والأحقاف:١٢. هذا مع وجود صوَر من العلاقات بين هذه المواضع، فبينما هي مفصَّلة في سورة غافر (٢٢ وما بعدها)، نراها مُجمَلة في السُّور الأخرى، مع تركيز كلِّ سورة على مشهدٍ معيَّن من المشاهد، منسجم مع مقصد السُّورة التي يرد فيها المشهد.

بناءً على هذه الملامح المشتركة بين هذه السُّور، يمكن القول إنَّها تمثِّل بناءً موحَّدًا كأنَّها سورة واحدةق تمَّ تقسيمها إلى جزئيَّات متكاملة، تقوم فيها كلُّ جزئيَّة بوظيفة داخل هذه المنظومة السُّوَريَّة.

---

[١] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠٠٨). **الإتقان في علوم القرآن**. بيروت: دار الفكر.

[٢] عماد الدين أبو الفدا. (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). **مختصر تفسير ابن كثير**، بيروت: دار القرآن الكريم، ٢١/١.

الحواميم والخصوصيَّة المقصديَّة

نظرًا لكون المجموعة الحواميميَّة مكيَّةً فإنَّ مدارها لَهِيَ مدار السُّورة المكيَّة من إقرارٍ للتَّوحيد والوحي والبعث والمعاد... غير أنَّ كلَّ حاميمة تستقلُّ بالتَّركيز حول قضيَّة معيَّنة من تلك القضايا العقديَّة الكبرى التي تعالجها المجموعة الحواميميَّة بأجمعها. بذلك، فإنَّ كلَّ حاميمة تمثِّل حلقةً في نظام متكامل. يصرِّح بذلك الإمام البقاعي وأنَّ لكلِّ سورة مقصدٌ مميَّز يدرك بالتَّأمُّل فيها، يقول: "كلّ سورة لها مقصدٌ واحدٌ يُدار عليه أوَّلها وآخرها، ويُستدلُّ عليه فيها، فترتَّب المقدِّمات الدَّالة عليه على أتقن وجه وأبدَعِ نج، وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استدلَّ عليه (...)، فإذا وصل الأمرُ إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ...".[١]

كذلك، يؤكِّد الباحث أبو موسى هذه الحقيقة في سُوَر الحواميم؛ إذ بيَّن أنَّها – وإنْ كانت تشترك في مضامين عامَّة بينها– فإنَّ كلَّ سورة منها تتميَّز عما سواها بالتَّركيز على مضمون بُؤريٍّ مركَّز.. "جميع هذه السُّور المذكورة وإن كانت تنطوي على المعارف الدينيّة العامة إلاّ أنّ ما تبرز وتتميّز فيه مختلف ومتفاوت أي: بغضِّ النَّظر عن المضمون المشترك الذي تمتاز به هذه السُّور السّبع، فإنّ لكلٍّ منها خصِّيصة تكون سبباً لتمايزها فيما بينها".[٢]

في السُّورة الأولى من المجموعة الحواميميَّة، سورة غافر، نجدها تتمحْوَر حول مواقف المستكبرين عن آيات الله تعالى وعن الوحي الإلهيِّ، بذكر أساليبهم وأحوالهم ومآلاتهم الوخيمة؛ لذلك.. "كان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها بذلك".[٣] ومن صفات أولئك في هذه السُّورة:

- **الكفر**: إنَّ أوَّل صفةٍ للمستكبرين عن آيات الله أنَّهم كفار.. ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آية:٤).

---

[١] ؟. (١٩٨٧م). **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**. الرياض: مكتبة المعارف، ج ١، ص ١٤٩.

[٢] محمد، محمد أبو موسى. (١٤١٦هـ/١٩٩٦). **من أسرار التعبير القرآني: دراسة تحليلية لسورة الأحزاب**. القاهرة: مكتبة وهبة، ط٢، ص ٢٦.

[٣] الثقفي، أحمد ابن إبراهيم. **البرهان في تناسب سور القرآن**. ص ١٥٨.

- **الجدال بغير علم أو عِلْم**: وردت آياتٌ كثيرةٌ في هذه السُّورة تشير إلى هذه الطَّبيعة عند المستكبرين فهم.. ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ﴾ (آية:٣٥) أي بغير دليل، ومثله في (آية:٥٦).
- **الرُّكون إلى البطش** بعد الفشل في الجدال، فهم في كلِّ عصرٍ عاجزون عن إثبات مزاعمهم بالعلم أو العقل؛ لذلك يلجأون إلى القوَّة.. ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ﴾ (آية:٥).

أمَّا سورة فصِّلت، فإنَّها تختصُّ بمعالجة الإعراض عن الهدى وذكر الله، وهذا ما ينجلي في مستهلِّ السُّورة: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ (آية:٤)، وورد أيضًا على لسان المعرضين: (آية:٥)؛ لذلك، فإنَّ هذه السُّورة قد ركَّزت على بيان قَدَر القرآن. وكما يقول الإمام أحمد الثقفي، فإنَّ هذه السُّورة قد تضمَّنت "من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرَّحمة به ما لا يُوجدُ في غيرها من أقرانها".[١]

وقد ذكرت هذه السُّورة أيضًا –مثل سورة غافر– بعضًا من صفات المعرضين عن هدى الله وعن كتابه، ومنها: صمُّ آذانهم عن القرآن: وهم في محاولتهم اليائسة للفرار عن سماع ذكر الله، يزيدون بصرف النَّاس عن سماعه، ويحاولون إحداث اللَّغو فيه.. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (آية:٢٦). غير أنَّ الإعراض عن آيات الله وعن الوحي الإلهي، له عاقبة مثل عاقبة الاستكبار عن آيات الله (آية:١٣). ومهما حاولوا، وصَمُّوا آذانهم، ومهما حاولوا صرف النَّاس عن آيات الله، فإنَّ القرآن يذكِّرهم بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (آية:٥٣).

والسُّورة الثَّالثة في المجموعة الحواميميَّة، سورة الشُّورى موضوعها الأسيُّ هو التَّأكيد على الوحي الإلهي؛ لذلك افتتحت بقوله: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ (آية:٣). وبعد ثلاث آياتٍ تتكرَّر الإشارة إلى الوحي (آية:٧). بعد ذلك، يأتي التَّصريح بطبيعة هذا الوحي الإلهي وتحديد حقيقته (آية:٥١)، ويرى البقاعي أن

[١] المصدر السابق، ص ١٥٩.

مقصودها.. "الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان"، وأورد جملةً من آيات السُّورة الدَّالة على ذلك، ومنها: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (آية:١٣).[١]

وتركِّز **سورة الزُّخرف** على نقل صورةٍ تاريخيَّة للأمم السَّابقة، ممَّن أهلكوا بسبب استكبارهم، أو بسبب إعراضهم عن آيات الله.. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ﴾ (آية:٦)؛ لكنَّهم بسبب الإعراض أو الاستكبار أهلكوا (آية:٨). ومن موضوعات هذه السُّورة الأساسيَّة، "البشارة بإعلاء هذه الأمَّة بالعقل والحكمة حتى يكونوا أعلى الأمم في العلم".[٢]

تأتي بعدها سورة **سورة الدُّخان** للإنذار من الهلاك كما وقع للأمم السَّابقة (في الزُّخرف)، وقد ورد في مستهلِّ هذه السُّورة قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (آية:٣)، يرد الإنذار نفسُه في ثنايا السُّورة حتى تصل إلى خاتمتها.. ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ (آية:٥٨-٥٩)، أي انتظرْ، إنَّهم أيضًا منتظرون العذاب، وسوء العاقبة.

أمَّا **سورة الجاثية** فإنَّها تركِّز على التَّوحيد الرُّبوبي، ففي مستهلِّ السُّورة جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آية:٣)، وفي خاتمتها تركيزٌ على هذا المقصد أيضًا: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آية:٣٧).

والسُّورة الأخيرة **سورة الأحقاف** محورها الأساس هو الإيمان بالمعاد والتَّأكيد عليه. جاء في مستهلِّها: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (آية:٣)، وجاء نظير ذلك في خاتمتها: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ (آية:٣٥).

أسامي الحواميم والدَّلالة المقصديَّة

إذا كانت تسمية كثير من سور القرآن توفيقيًّا وضعها المسلمون الأوائل، فإنَّ تلك الأسامي سواءٌ التَّوفيقيَّة أم التَّوقيفيَّة، تضطلع بمهمَّة انسجاميَّة كبيرة في إبراز مقاصد السُّورة بأجلى

[١] البقاعي. **نظم الدرر**. ج ١٧، ص ٢٣٤.

[٢] المصدر السابق، ج ١٧، ص ٣٧٦.

سُوَرها. وقد وقف العلماء عند كثيرٍ من تلك الأسامي؛ لبيان علاقتها بما تشير غليه من سورة. ففي سور الحواميم مثلاًن أكَّد العلماء أنَّ اسم كلِّ سورةٍ منها هو في غاية الانسجام والدِّقة في موضعه.

مثالاً لما مضى، فقد ذهب البقاعي في تعليله لتسمية سورة غافر بهذا الاسم، إلى أنَّ ذلك ناشئٌ عن علاقة هذه السُّورة بسورة الزُّمر قبلها، ففي آخر الزُّمر صُنف الناس في الآخرة إلى صنفيْن، ووُفِّي كلُّ صنفٍ ما يستحقُّه على سبيل العدل، وهذا التَّصنيف والجزاء والعقاب، لا يقدرُ عليه إلاَّ الملك ذي القوَّة المطلقة.. "وعلى ذلك دلَّت تسميتُها بغافر، فإنَّه لا يقدرُ على غفران ما يشاء، لمن يشاء إلا كامل العزَّة، ولا يعلم جميع الذُّنوب ليسمَّى غافرًا لها إلاَّ بالغ العلم".[١]

كذلك، فإنَّ تسمية هذه السُّورة بسورة الطَّوْل، علَّلها البقاعي بالتَّعليل السَّابق نفسه؛ إذ ذهب إلى أنَّ ناقص العزَّة ليس بمقدوره غفران الذُّنوب وقبول التَّوبة.. "فإنَّ من كان ناقص العزَّة فهو قابلٌ لأن يمنعه مِن بعض التَّطوُّلات مانع". ثمَّ أوضح أنَّ تسمية هذه السُّورة بسورة المؤمن، فيها دلالةٌ على المقصد من السُّورة.. "فإنَّ قصَّته –أي مؤمن آل فرعون– تدلُّ على هذا المقصد، ولا سيَّما أمر القيامة الذي هو جلُّ المقصود والمدار الأعظم لمعرفة المعبود".[٢]

أيضًا، ربط البقاعي المقصد العامَّ في سورة فصِّلت بتسميتها؛ فبيَّن أنَّ مقصود هذه السُّورة هو "الإعلام بأنَّ العلم إنَّما هو ما اختاره الله المحيط بكلِّ شيءٍ قدرةً وعلمًا"، وأنَّ هذا العلم لا يُكتَسب إلا باتِّباع الرُّسل.. "وعلى ذلك دلَّ اسمها "فصِّلت" بالإشارة إلى ما في الآية المذكورة فيها هذه الكلمة من الكتاب المفصَّل لقوم يعلمون، والسَّجدة بالإشارة إلى ما في آيتها من الطَّاعة له بالسُّجود الذي هو أقربُ مقرِّبٍ من الملك الدَّيان".[٣]

---

[١] المصدر السابق، ج ١٧، ص ١.

[٢] المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢.

[٣] المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٣٤.

أمَّا سورة الشُّورى، فتنشأ علاقة تسميتها بمقصدها أيضًا؛ إذ إنَّ الشُّورى، كما يقول البقاعي، هو الوسيلة في تحقيق الألفة والوحدة والمساواة في الدِّين، وهو المقصد في هذه السُّورة. "وتسميتها بالشُّورى واضحُ المطابقة لذلك لما في الانتهاء".[١]

وفي سورة الزُّخرف، تظهر العلاقة الانسجاميَّة بين تسميتها وبين مقصدها في كون زخرف الحياة الدُّنيا وسيلةً من المولى سبحانه لدفع النَّاس عن الكفر، ومواطن الهلاك التي وقع فيها كثيرٌ من الأمم.. "فلو أراد أن يعمَّ الكفر جميع النَّاس؛ لعمَّهم بسبوغ النِّعم، ولكنه لم يعمَّهم بذلك. بل فاوَتَ بينهم فأفقَرَ بعضَهُم وأكثر رؤسَهم وضرَّهم، وفرَّق أمرهم؛ ليسهل ردُّهم عن الكفر".[٢]

كذلك، فإنَّ تسمية الدُّخان لها علاقة بمقصودها؛ إذ هذه السُّورة في الإنذار من الهلاك لمن لم يقبل ما في الذِّكر الحكيم من الخير والبركة، وهما أي الخير والبركة "رحمة جعلها الله بين عامَّة خلقه مشتركة، وعلى ذلك دلَّ اسمُها الدُّخان، إذا تُؤمِّلت آياته، وإفصاح ما فيها وإشاراته".[٣]

أمَّا سورة الجاثية، فيدلُّ اسمها على مقصودها، وهو أنَّ الله ذو العزَّة لا يغلبه شيءٌ، وأنَّه جامع الناس ليوم البعث، فيجزي المطيع ويعذِّب العاصي، ويتجلَّى في جميع صفاته لجميع خلقه، هذا بالنِّسبة لاسم "الشَّريعة" للسورة. أما اسمها الجاثية، فواضح الدِّلالة أيضًا على مقصود السُّورة كما يقول البقاعي.[٤]

ويوضِّح البقاعي أكثرَ في بيانه لعلاقة مقصد سورة الأحقاف باسمه، فيذهب إلى أنَّ السورة لما كانت في إنذار الكافرين بالهلاك، وتغيير حالهم وحال بلادهم، فإنَّ تسمية السُّورة بالأحقاف، دقيقةٌ جدًّا؛ لأنَّ الأحقاف تدلُّ على الرِّيح وسكون الجوِّ، المشار إليه

---

[١] المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢٣٤.

[٢] المصدر السابق، ج ١٧، ص ٣٨٠.

[٣] المصدر السابق، ج ١٨، ص ١.

[٤] المصدر السابق، ج ١٨، ص ٨٥-٨٦.

في قصَّة قوم هود (عليه السلام).. يقول: "ولا يصحُّ تسميتُها –أي سورة الأحقاف– بهود، وتسمية هود بالأحقاف؛ لما ذُكر من المقصد بكلٍّ منهما".[١]

إذنْ، فإنَّ كلَّ اسم من أسماء سور القرآن، هو في غاية الدِّقة والانسجام في محلِّه، وهو منطلَقٌ للنَّظر في مقاصد السُّورة.

الانسجام بين الخاتمة وفاتحة ما بعدها

تتعدَّى علاقات الانسجام النَّظمي حدود السُّورة؛ لتنطلق إلى ربط السُّورة بما قبلها، وذلك عبر جملةٍ من الرَّوابط الوظيفيَّة التي تتعانق مع أجزاء من السُّورة أو السُّوَر الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، وفي الفقرات الآتية وقوفٌ عند بعض تلك الرَّوابط والعلاقات بين السُّور الحواميم.

أ_ علاقة تَعقيبيَّة: نجد مثل هذه العلاقة بين فاتحة سورة الشُّورى وبين خاتمة ما قبلها (فصلت)؛ وذلك في آياتٍ في الشُّورى تعدُّ تعقيبًا على ما سبق في سورة فصلت، من ذلك أنَّ فصلت قد اختَتَمت بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت:٥٤)، فجاء التَّعقيب على هذا القول في مفتتح الشُّورى بقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ (آية:٥). وتكرَّر في سورة فصلت ذكر إعراض المشركين وتكبُّرهم؛ فجاء تعقيب ذلك في أوَّل الشُّورى ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (آية:١٣).[٢]

ب_ علاقة تكميليَّة: وتكون تلك العلاقة بين السُّورَتين بورود قضيَّة في الأولى، ثم تفسير سبب ذلك، أو إكمال جوانب تلك القضيَّة في السُّورة بعدها، ومن أمثلة ذلك بين سورة الشُّورى والزُّخرف، قوله تعالى في أواخر الأولى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء

[١] المصدر السابق، ج ١٨، ص ١١٦.

[٢] انظر: الثقفي، أحمد ابن إبراهيم. **البرهان في تناسب سور القرآن**. ص ١٦١.

عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٤٩-٥٠). وقد جاء تكميل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (الزخرف:١٧)، وذلك بإعلام مَنْ يقصُر نظرُه في هذه القضيَّة أنَّ الذَّكر والأنثى هبَة من الله يرضى به المؤمن. يشير الإمام الحافظ الثقفي إلى هذه العلاقة التَّكميليَّة بقوله: "فكَمُل الواقع هناك بما تعلَّق به".[١] ومنها قوله في الشُّورى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (آية:٢٧)، وجاء تكميلُ هذه القضيَّة في الزُّخرف: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (آية:٣٣).

ج_ علاقة تفصيليَّة: نجد في سورة الدُّخان هذه العلاقة حيث تضمَّنت السُّور قبلها ذكر الكتاب العزيز، وأنَّه قرآن عربي، وأنَّ من خصائصه أنَّه ذكرٌ للنَّبي ولقومه (الزخرف:٤٤)؛ فجاء تفصيل كلِّ ذلك في مفتتح الدُّخان بذكر وقت إنزاله إلى السَّماء الدُّنيا.. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (آية:٣)، ومنها أيضًا أنَّه قد ورد في الزخرف الأمر بالصَّفح مُجْمَلا.. ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف:٧٩-٨٠) فذكر الوعيد للكافرين مُجمَلا، ثم فصَّل ذلك في مفتتح الدخان.. ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (آية:١٠) وما بعدها.

د_ علاقة تَتْبيعيَّة: إذا ذُكرت في السُّورة أو السُّور السَّابقة قضيَّة، جيء فيما يتلوها تتبيعُ ذلك بالاستدلال بصُوَر أخرى من أدلَّة وحدانيَّة الخالق، وصدق نبيِّه وكتابه.. من ذلك في مفتتح الجاثية قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (آية:٣-٤)، وقد جاء ذلك بعد أنْ ورد في السُّور الثَّلاث قبلها إيضاح أمر الكتاب، وأنَّه هدى ونور، وحجَّة على المنكرين، وبما أنَّهم لم يؤمنوا به، فقد جاءت حجَّة أخرى، هي حجَّة آيات الله المنظورة في الكَوْن والآفاق والأنفس.

---

[١] المصدر السابق، ص ١٦٢.

هـ_ علاقة إرداف: وهي ذكر القضيَّة، وذكر أدلَّة عليها أو ذكر جوانب منها، ثم إرداف تلك الجوانب بطرفٍ آخر يكون أبلغَ وأوضَحَ وأقرَب في الإثبات والتَّقريع، من ذلك أنَّ سورة الجاثية قبل سورة الأحقاف قد تضمَّنت دلائل قدرة الله المبثوثة في الآفاق، ولكنَّ المعاندين لا يزالون إلاَّ تعميةً وتكبُّرًا؛ فجاء في مستهلِّ الأحقاف ما يُردف ذلك.. ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (آية:٣)، ثم ذكر ما أصاب أهل الأحقاف، وهم عرب من اليمن من سوء عاقبة، وتلك من أقرب الصُّوَر والمواقع والوقائع التَّاريخيَّة إلى أهل مكَّة.

الانسجام بين فاتحة السُّورة وخاتمتها

من مظاهر الانسجام النَّظمي داخل السُّورة الواحدة، تناسُب خاتمتها بفاتحتها؛ سواء في البُعد اللَّفظي أم في البُعد المعنوي، وذلك مَلْمَحٌ أظهَر في السُّور الطِّوال. هذا، ويُعدُّ البقاعيُّ أبرزَ من التزم باستكشاف العلاقة اللَّفظيَّة والمعنويَّة بين مفتتح السُّورة ومختتمها، سواءٌ في السُّور الطَّويلة أو القصيرة، ومثله السُّيوطي، ولكنَّه لم يلتزم ببيان ذلك في بعض السُّور القصيرة، مثل: الطارق، والأعلى، والعصر، والفيل، وقريش، والماعون، وغيرها. وفي تأكيد هذه الطَّبيعة في بناء السُّورة القرآنية يقول أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ): "وقد تتبَّعتُ أوائل السُّور المطوَّلة، فوجدتها يناسبها أواخرُها بحيث لا يكاد ينخرمُ منها شيء".[١]

من أمثلة ذلك في سُوَر الحواميم:

أ_ سورة غافر:

من الآيات في مفتتح سورة غافر قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤)، وجاء نظير هذه الآية في خاتمة السُّورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٦٠)، ومن الآيات أيضًا في فاتحة السُّورة، قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ

[١] الغرناطي، أبو حيان أثير الدين. (١٤١١هـ/١٩١١). **البحر المحيط**. بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي، ط٢، ج ٢، ص ٣٦٣.

يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾ (٢١)، ونظيرتها في خاتمة السُّورة، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (٨٢).

ب_ سورة الشورى:

افتتحت الشُّورى بالإشارة إلى الوحي بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣). واختتمت كذلك بذكر الوحي: ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ (٥٢).

وفي هذا المقام، يوضِّح البقاعي جانبًا آخر من الانسجام النَّظمي بين مفتتح السُّورة ومختتمها، فيذهب إلى أنَّ الآية الأخيرة منها في غاية الانسجام مع فاتحتها.. ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾، يقول: "كما كانت الأمورُ كلُّها مبتدئةً منه وحده، ومن كان كذلك فهو وحده العزيز الحكيم، العليُّ العظيم، فقد رجع آخرُ السُّورة على أوَّلها، وانعطفَ مفصَلُها على مَوْصِلها، واتَّصل من حيث كونه في الوحي الهادي في أوَّل الزُّخرف على أتمَّ عادة لهذا الكتاب المنير من اتِّصال الخواتم فيه بالبوادي، والرَّوائح بالغوادي، والله أعلم بالصَّواب".[١]

ج_ سورة الدخان:

افتتحت سورة الدُّخان بذكر القرآن في قوله تعالى: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (١). واختتمت كذلك بذكر القرآن: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (آية:٨٥).[٢]

---

[١] البقاعي. **نظم الدرر**. ج ١٧، ص ٥٠٧.

[٢] السيوطي، جلال الدين. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**. تحقيق: محمد بن عمر بن سالم بازمول. مكة: المكتبة المكية، ص١٥٣.

دـ سورة الجاثية:

افتحتت هذه السُّورة بقوله تعالى: ﴿حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آية:١-٣). وفي أواخر السُّورة قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آية:٣٧). وورد أيضًا في مفتتحها قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آية:٧-٨). ونظيرها في أواخر السُّورة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (آية:٣٥)، يقول البقاعي عن الانسجام في هذه السُّورة: "انطَبَق آخرها على أوَّلها بالصِّفتَين المذكورتَين، وبالحثِّ على الاعتبار بآيات الخافِقَين، والتَّصريح بما لزم ذلك من الكبرياء المقتضية لإذلال الأعداء وإعزاز الأولياء.[١]

هـ سورة الأحقاف:

بدئت هذه السُّورة بذكر خلق السَّموات والأرض، وختمت بذلك أيضًا. ورد في فاتحتها قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (آية:٣). وورد في خاتمتها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آية:٣٣).

خلاصة هذا الجانب، أنَّ الانسجام النَّظميَّ بين فاتحة السُّورة وخاتمتها، حالةٌ مطَّردة في القرآن، إنْ في المستوى اللَّفظيِّ، وإنْ في المستوى المعنّويِّ، وكأنَّ فاتحة كلِّ سورةٍ وخاتمتها تمثِّلان قطبَين مفصَلَين، وبينهما حلقاتٌ صغيرة رابطة.

[١] البقاعي. **نظم الدرر**. ج ١٨، ص ١١٧.

الانسجام الدَّاخلي بين السُّورة وجاراتها

إذا كان قطبا السُّورة –أي فاتحتها وخاتمتها– ذَوَيْ ارتباطٍ وتعالُق بالسُّورة السَّابقة واللاَّحقة، فإنَّ "متن السُّورة" يضطلع كذلك بوظيفة ترابُطيَّة بمتن السُّورة السَّابقة واللاَّحقة؛ ممَّا يجعل من كلِّ سورة بناءً نظميًّا معقَّدًا متداخل الأنسجة والخطوط بما يجاورها من السُّور.

توضيحًا لهذا الملمح، سوف نعمد في الفقرات الآتية لعرض أمثلةٍ في المجموعة الحواميميَّة تؤكِّد تعالُق آياتٍ ومواضع في كلِّ حاميمة بأخرى.

أ_ بين سورتي غافر وفصِّلت

تظهر العلاقة الخطيَّة بين سورة غافر وتاليتها سورة فصِّلت في عدَّة مناحٍ، منها: أنَّ سورة غافر قد اختتمت بذكر الكفرة الذين جادلوا في آيات الله بالباطل وفرحوا بما عندهم من علمٍ لظاهر الحياة الدُّنيا، وأنَّ ذلك العلم لم ينفعهم من بأس الله. إنَّ ما يقابل تلك الصُّورة هو ما ابتدأت به سورة فصِّلت؛ حيث ذكر المولى سبحانه أنَّ رحمته واسعةٌ، وأنَّ من اتَّبع سبيله فإنَّه تشمله رحمة الله. ومن صُوَر العلاقة بين الآيات، علاقة الإجمال بالتَّفصيل؛ حيث تضمنت سورة غافر بيان هلاك الأمم السَّابقة ممَّن هم أشدُّ قوَّة بيانًا مجملاً (٢١، ٨٢)، وجاء تفصيلُ ذلك في فصِّلت (١٣، ١٥، ١٦، ١٧) بذكر عاد وثمود.

ب_ بين سورتَي فصِّلت والشُّورى

العلاقة بين هاتَين السورتين هي علاقة تتبيعيَّة، وقد ذكر البقاعي قولاً عن الإمام أبي جعفر بن الزبير، يفيد هذا المعنى، قال: "لما تضمَّنت سورة غافر بيان حالي المعاندين والجاحدين، وأعقب بسورة فصِّلت بيان أن حال كفار العرب في ذلك كحال مَنْ تقدَّمهم أن اتبعت السُّورتان بما اشتمل عليه سورة الشُّورى من أن ذلك كله إنما جرى على ما سبق في علمه تعالى بحكم المشيئة الأزليَّة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى:٧) ﴿وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ﴾ (الشورى:٨). فتأمَّل هذه وما التحم بها ممَّا لم

يَجْرِ في السُّورة المتقدمة منه إلا النَّادر، وبناء سورة الشُّورى على ذلك، ومدار آيِها، يلحُّ لك وجهُ اتِّصالها بما قبلها والتحامها بما جاوَرَها".[١]

ج_ بين سورتي الشُّورى والزخرف

العلاقة بين هاتين السورتين هي علاقة تعقيبيَّة، وقد ذكر البقاعي ذلك نقلاً عن الإمام أبي جعفر بن الزبير، قال: "لما أخبر سبحانه بامتحان خلف بين إسرائيل في شكِّهم في كتابهم بقوله: ﴿بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (الشورى:١٤)، ووصَّى نبيَّه بالتَّبرؤ من سيِّء حالهم والتنزُّه عن سوء محالهم، فقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ (الشورى:١٥)، وتكرَّر الثَّناء على الكتاب العربيِّ (...) أعقب ذلك بالقسم به (في الزُّخرف) وعضد الثَّناء عليه فقال: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ .(الزخرف:١-٤).[٢]

بناءً على الأمثلة والنَّماذج المعروضة، يتبيَّن أنَّ كلَّ سورة ليست مستقلَّةً بنفسها، وإنَّما هي حلقةٌ محْكَمة في منظومةٍ مترابطة الأطراف والأوساط، وتلك الغاية في أيِّ بناء.

الانسجام بين المتشابهات اللَّفظية

نوعٌ آخر من الانسجام النَّظميِّ، يظهر في دقَّة التَّعبير في الآيات المتشابهة في المستوى اللَّفظيِّ، وتلك ظاهرةٌ مشهودةٌ في مجمل القرآن مشهورة. غير أنَّ الاقتصار ههنا على المجموعة الحواميميَّة، سواءٌ داخل السُّورة الواحدة أم بين آياتٍ في سورةٍ، وبينها في سورة أخرى.

أ_ سورة غافر: من مواضع الآيات المتشابهات في هذه السُّورة، قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (آية:٥٧)، وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (آية:٥٩)، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي

[١] المصدر السابق. ج ٦، ص ٥٩٧-٥٩٨.

[٢] المصدر السابق. ج ٧، ص ٥-٦.

جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ (آية:٦١). هنا ختمت الآيات الثلاث بفواصل مختلفة في نفي صفاتٍ ثلاث حميدة عن أكثرِ الناس، وهي بالتَّوالي: العلم، والإيمان، والشُّكر. ويظهرُ الانسجام النَّظميُّ بين هذه السيات الثَّلاث في دقَّة كلِّ فاصلةٍ في موضعها.

- ففي الآية الأولى (لا يَعْلَمون): ورد هذا النَّفي؛ لأنَّه في سياق ذكر الخلق الأصغر والخلق الأكبر، وهو أمرٌ من حقائق عالَم الشَّهادة يُدركه كلُّ من أمعن النَّظر في ملكوت السَّموات والأرض.
- وفي الآية الثانية (لا يُؤمِنُون): ورد النَّفي في سياق عالَم الغيب، وهو تحقُّق وقوع السَّاعة، وهذا خبرٌ يستلزم الإيمان به في المقام الأوَّل، لكنَّ كثيرًا من النَّاس لا يؤمنون به.
- وفي الآية الأخيرة (لا يَشْكُرون): ورد النَّفي في سياق تعداد آلاء الله وأنعُمه على النَّاس (لذُو فَضْل)، لكن هذا الفضل يُنكره كثير من النَّاس ولا يشكرون المولى عليه.[1]

هكذا، فإنَّ كلَّ فاصلة كانت في غاية الانسجام النَّظمي في محلِّها؛ حيث ذُكر العلم في معرض الدَّليل الشُّهودي، وذُكر الإيمان في الدَّليل الغيبي، وذكر الشُّكر في سياق النِّعم. في سورة غافر أيضًا، ورد من التِّشابه بين قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (آية:٨٥)، وقوله: ﴿فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (آية:٧٨). باختلاف الفاصلتين بين الآيتَين؛ فوُصِف القوم بالكافرين في الموضع الأوَّل، ثم وُصفوا في الموضع الآخر بالمبطلين، وتفسير ذلك أنَّ الآية الأولى في سياق وصف القوم بأنَّ إيمانهم لن ينفعهم بعد أن أيقنوا من عذاب الله، فهو إيمانٌ غير مُجْدٍ، وما دام الإيمانُ لا ينفعُهم، فإنَّ حال الكُفر لا تنفكُّ عنهم، لأنَّ نقيض (الإيمان) هو (الكفر). أمَّا الآية الأخرى فهي في سياق بيان الحكم بين

[1] الطيار، عبد الله بن محمد. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩). **الآيات المتشابهات حكم وأسرار وفوائد**. الرياض: دار التدمرية، ص٤٧٥.

المؤمنين والكافرين يوم القيامة، وأنَّ الله تعالى قاضٍ بينهم بـ(الحقِّ)، والحقُّ يقابله (الباطل)؛ لذلك وُصف أهل الكُفر بالمبطلين.[١]

ب_ سورة فصلت: من مواطن التَّشابه بين الآيات في سورة فصلت، قوله تعالى: ﴿لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (آية:٤٩)، وقوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (آية:٥١)

هنا يظهر سؤالٌ: لماذا اختلفت الإشارة إلى الإنسان في حال مسِّه بالشَّر؟ فهو في الآية الأولى (يَؤوسٌ قنوط)، وفي الآية الأخرى (ذُو دُعاءٍ عريض). تفسير ذلك، والله أعلم، أنَّ:

- الآية الأولى في ذكر طبيعة الإنسان وما جُبِل عليه من رجاء الخير، وتلك حالةٌ عامَّة متحقَّقة في جميع بني البشر. يقول البقاعي: "وها هو ما طُبِع عليه الجنس، فمنْ أراد الله به منهم خيرًا؛ عصَمه، ومن أراد به شرًّا؛ أجراه مع الطَّبع فكان كافرًا؛ لأنَّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون".[٢]
- الآية الأخرى في ذكر حالةٍ قائمةٍ لإنسان قد أنعم الله عليه، ولكنَّه لم يوفِ هذه النِّعمة حقَّها من الشُّكر والخير؛ لذلك فإنَّه حين تسلَب منه النِّعمة، وقد ألِفها يكون مِلْحاحًا في الدُّعاء.
- ثم إنَّ استخدام أداتيَّ الشَّرط (إنْ، وإذا) في الآيَتين يؤكِّد هذا الاختلاف بين الموقِفين، ومعلومٌ أنَّ ثَمَّ فرقا بين هاتَين الأداتَين في الاستعمال.

أولا: تُستعمل (إذا) حين يكون السَّبب في الشَّرط مما يُرجَّح وقوعه، أو مما هو مرغوب فيه، فتقول: إذا أتيْتَني أكرَمتُك؛ لأنَّ إتيان الشَّخص مرغوبٌ فيه مرجَّح.

ثانيًا: تُستعمل (إنْ) حين يكون السَّبب في الأمور غير المؤكَّد وقوعها وتحقُّقها؛ لذلك لا يكون فصيحا قولك: إنْ طلعت الشَّمسُ زُرتُك. لأنَّ طلوع الشَّمس متحقَّق الوقوع.

---

[١] الكرماني، محمود بن نصر. (١٩٨٦). **البرهان في توجيه متشابه القرآن**. تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٢٢١.

[٢] البقاعي. **نظم الدرر**. ج ١٧، ص ٢١٧.

ولذلك كان جميع ما في القرآن الكريم من أخبار يوم القيامة بأداة الشَّرط (إذا)، نحو: ﴿إذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: ١).[1]

إذنْ، فإنَّ وصف الإنسان بأنَّه "ذُو دُعاءٍ عَرِيض" فيه دلالة انسجاميَّة عميقة؛ لأنَّه قد وقع حقًّا في الشَّر، فلا يهدأ له بالٌ قبل أن يُكشف عنه هذا الشَّر.

ج_ سورة الزُّخرف: ورد الآيات المتشابهات في هذه السُّورة في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُون﴾ (آية:٢٢)، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون﴾ (آية:٢٣). ذكر في الآية الأولى (مهتدون)، وفي الأخرى (مقتدون)، وتفسير هذا التَّراوُح:

- أنَّ الآية الأولى هي من كلام مشركي العرب في محاجَّتهم للنَّبي (ص)، وزعمهم أنَّهم سائرون على هدى آبائهم، وهم في هذا الحِجاج لا بدَّ أن يزعموا أنَّ آباءهم كانوا على صوابٍ وهدى؛ لهذا جاءت الآية بعدها.. ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ﴾ (من الآية ٢٤).
- أمَّا الآية الأخرى، فهي حكايةٌ عمَّن سبق من الأمم، ادَّعى المترفون فيها أنَّهم يقتدون بآبائهم. وهنا أيضاً مناسبة؛ لأنَّ (النَّذير) إنَّما يدعو القوم ليتبعوه، فما كان من المترفين إلاَّ أن يزعموا أنَّهم إنَّما يقتدون بآبائهم. عليه، فإنَّ كلتا الفاصلَتَين قد استُخدما في غاية الدِّقة في موضعَيهما.

د_ الزخرف | الجاثية: ورد التَّشابه بين آيتَين في هاتين السُّورتين، وهما قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الزخرف: ٢٠)، وقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤)

---

[1] ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف في معرض بيانه الفرق بين أداتي (إذا و إنْ) في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:١٣١)، قال في سبب دخول "إذا" على الحسنة، ودخول "إنْ" على السيئة: "لأنَّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب؛ لكثْرَته واتِّساعه، وأمَّا السيِّئة فلا تقع إلا في النُّدرة". (الزمخشري، محمود بن عمر. (١٤٣٠هـ). **الكشاف**. تحقيق: خليل مأمون شيحا. بيروت: دار المعرفة. ج ٢، ص ١٠٦)

- اختلفت الفاصلتان بين هاتَين الآيتَين المتشابهتَين، وسبب ذلك أنَّ المشركين في الآية الأولى زعموا أنَّ الملائكة بنات الله –سبحانه– وزعموا أنَّ الله تعالى أذِنَ لهم بعبادتها، فهم (يَخْرُصون): أي يكذبون في هذا الزَّعم.
- أمَّا في الآية الأخرى، فالحديث عن الكفار الذين قالوا: نَمُوتُ ونَحيا، وهذا صدق. أمَّا قولهم بعد ذلك "وَمَا يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهْرُ" أي أنَّهم لا يُبْعَثُون بعد الموت، فهذا كذب، فكلامُهم فيه جزءٌ من الصِّدق، وفيه جزءٌ من الكذب، فهم (يَظُنُّون)، أي: يخلطون الكذب بالصِّدق ظنًّا منهم. عليه، فإنَّ كلاًّ من الفاصلَتَين قد استخدمتْ في محلِّها بدقَّة متناهية روعي في ذلك السِّياق الذي وردتْ فيه الفاصلة.[١]

إنَّ ما سبق من نماذج، طرفٌ من نماذج شتّى من الآيات المتشابهة لفظًا؛ في المجموعة الحواميميَّة، ظهرت فيها بضوحٍ دقَّة التَّعبير في التَّراوُح بين المفردات المستخدمة في كلِّ موضعٍ.

خاتمة ونتائج

لقد كانت هذه الدِّراسة استجلاءً لصُوَر من الانسجام النَّظميِّ بين سور المجموعة الحواميميَّة بعضها ببعض. وفي ذلك، فإنَّ هذه الدِّراسة قد توصَّلت إلى جملةٍ من النَّتائج هي:

أ. أنَّ مجموعة الحواميم مجموعةٌ سُوَريَّة فريدة، معقَّدة البناء دقيقتُهُ.

ب. أنَّ الانسجام النَّظمي يظهر في فواتح الحواميم في تشابُهها وفي اختلافها في الوقت نفسه.

ج. أنَّ الحواميم تمثِّل وحدةً موضوعيَّة كليَّة متكاملة، تمَّ تقسيمها إلى وحداتٍ صغرى تمثِّلها كلُّ سورة على حدة.

د. أنَّ الحواميم تترابط فيما بينها بجملة من العلاقات الدِّلاليَّة، مثل: العلاقة التَّعقيبيَّة، والتَّكميليَّة، والتَّفصيليَّة.

---

[١] الكرماني، محمود بن نصر. (١٩٨٦). **البرهان في توجيه متشابه القرآن**. تحقيق: عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٢٢٤.

هـ. أنَّ الحواميم، لَهي من أكثر سور القرآن من حيث التَّشابه اللَّفظي بين آي سُوَرِها؛ دلالةً على العلاقة العضويَّة بين تلك السُّوَر.

بهذه النَّتائج، فإنَّ هذه الدِّراسة قد أجابت عن جميع الأسئلة التي طُرحت في الفقرة التَّمهيديَّة لهذه الدِّراسة. وانطلاقًا من هذا، فإنَّ هذه الدِّراسة قد تُستَكمَلُ بدراساتٍ مستقبليَّة تستكشف العلاقات النَّظميَّة بين الحوامي من جانب، وبينه سائر سُوَر القرآن. هذا والله ولي التَّوفيق.

المصادر والمراجع:

REFERENCES

Al-Gharnaṭi. A. (1411H/1991). *Al-bahr al-Muhit*. Beirut: Dār Ihya Turath Islami, 2nd Ed.

Al-Alusi, Sh. M. (1353). *Ruḥ al-mʿāni fi Tafsir al-Qurʾān al-aʿẓim wa al-sabʿ al-mathāni*. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabi.

Al-Biqāʾi, B. I. U. (1995). *Nadhm durar fi tanāsub al-ayāt wal suwar*. Tahqiq: Abdurrāziq Ghalib. Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Biqāʾi, B. U. (1987). *Masāid nathar li ishraf al-maqāsid suwar*. Riyad: Maktabah al Maʾārif.

Al-Bukhāri, M. I. (1987). *al-Jāmiʿ al-ṣaḥiḥ al-mukhtaṣar*. Taḥqiq: Muṣṭafā Dib al-baghā. Bierut: Dār Ibn Kathir.

Al-firuz Abādi, M. Y. (2005). *al-Qāmus al-muḥiṭ*. Taḥqiq: Muḥammad Naʿim al-ʿIrqsūsi: Beirut: Muʾsissh al-Risālah, 8th ed.

Al-Hafidh al-Thaqafi, A. I. (1428H/2008). *al-Burhan fi tanāsub suwar al-Qurān*. Tahqia: Said ibn Jumʾa al Falah. Riyadh: Dār ibn Jawzi.

Al-Hariri, A. M. (n.d). *Durrat al-Ghawās fi awhām al-khawās*. Tahqiq: Muhammad abul Fadl Ibrahim. Qahirah: Dar Nahdat Misr.

Al-Jirmi, I. M., (2000). *Muʾjam ulum al-Quran*. Dimashq: Dār al-qalam.

Allush, A. F. (2002). *Suwar al-hawamim dirasah balaghiyyah tahliliyyah*. Beirut : Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Munawi, A. (1356H). *Faydh al-Qadir*. Misr : al-Maktabah al-Tijariyyah.

Al-naisāburi, M. Ḥ. *al-Jāmiʿ al-ṣaḥiḥ*. Taḥqiq: Muḥammad fuʾād ʿAbd al-Bāqi. Bierut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabi.

Al-Qaṭṭan, Manna. (n.d). *Mabahith fi ulum al-Quran*. Cairo : Maktabah Wahbah.

Al-Qurṭubi, M. A. (1423H/2002). *al-Jāmiʿ liʾaḥkām al-qurʾān*. Taḥqiq: ʿAbdullāh al-Turkey. Beirut: Muʾasisah al-Risālah.

Al-Qushairi, M. (1400H/1990). *Ṣaḥiḥ muslim*. Taḥqiq: Muhammad Fuad abdul Bāqi. Riyadh : Riāsat Idarat Buhuth Ilmiyyah wal-ifta.

Al-Suyuṭi, J. (2008). *al-Itqān fi ʿulum al-Qurʾān*. Bierut: Dār al-Fikr.

Al-Suyuṭi, J. (n.d). *Asrar tartib al-Qurʾān*. Tahqiq : Abdul Qadir Ahmad Ata. Cairo : Dār al-I'itisam.

Al-Suyuṭi, J. (1408H/2002). *Mu'tarak al-aqran fi i'jaz al'Quran*. Tahqiq : Ahmad Shams Din. Beirut : Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Suyuṭi, J. (1423H/2002). *Marasid al-matali' fi tanasub al-maqati'*. Tahqiq: Muhammad ibn Umar B. Makkah: al-maktabah al-Makiyyah.

Al-Suyuṭi, J. (2003). *al-Dur al-Mnthur fi al-tafsir bi al-maʾthur*. Taḥqiq: ʿAbdullāh al-Turkey. Cairo: Markaz hajr li al-buḥuth wa al-dirāsāt, 1st ed.

Al-ṭayar, A. M. (1430H/2009). *Al-ayat al-mutashabihat hikam wa asrar wa-fawaid*. Riyadah : Dar al-Tadmuriyyah.

Al-Zarkashi, B. (1957). *al-Burhān fi ʿulum al-Qurʾān*. Taḥqiq: Muḥammad Abu al-Faḍl Ibrāhim. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyah, 1st ed.

Al-Zurqāni, M. A. (1996). *Manāhil al-ʿirfān fi ʿulum al-Qurʾān*. Beirut: Dār al-Fikr

Azzurqāni, M. A. (1996). *Manahil al-Irfan fi Ulum al-Quran*. Beirut: Dar al-Fikr.

Bamba, A. (2009). *Asma al-Qurʾān wa asma suwarihi wa ayatihi*. Shariqah : Markaz Jum'a al-Majid lilbuhuth.

Ibn Adil, A. D. (1419H/1998). *Al-lubāb fi ulum al-Kitab*. Tahqiq : al-Shaykh A. Beirut : Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn Manẓur, M. (n.d). *Lisān al-ʿarab*. Beirut: Dār Ṣādir.

Jawadi, A., (1429H/2009). *Ma'arif al-Qurān min Khilal al-hawamim as-sab'i*. Beirut: Dar al-Safwah.

Malaikah, S. S. (1426H/2006). *Dalil al-āyāt mutashabihah alfadh fi kitab Allah*. Riyadh : Maktabah Malik Fahd, 4th edn.

Muhammad M. (1416H/2006). *Min asrār Ta'bir al-Qurāni*. Cairo : Maktabah Wahbah, 2nd edn.